الفصل الثاني

في الرحلة ما بين الجيزة وقرية سقارة

ذكر ماربيت باشا في كتابه مرشد السياح أن من أراد السفر إلى الوجه القبلي والتمتع برؤية ما به من الآثار فعليه بركوب السفن المعروفة باسم الذهبات لأنها أوفق لذلك من غيرها بكثير وذلك أن الإنسان يكون بها على راحة تامة لأنها كالمنزل المستعد ويمكنه السير والإقلاع متى يشاء ويتيسر له الوقوف والنزول والصيد وزيارة القرى والمدن التي مر عليها في طريقه. وتمكن من رؤية الآثار بخلاف الوابورات البحرية التي تسير وتقف على أماكن مخصوصة في ساعات محدودة فضلًا عن وجوده مع رفقة أغراب من كل دولة لايعرف منهم واحداً ولا يتفرج إلا في زمن معين مع الترجمان الذي لا يستفيد الإنسان منه إلا مسائل إجمالية فكأنه والحالة هذه ما رأى شيأ من الآثار ولو أن بالوابورات كل ما يلزم للسفر من نحو مأكل ومشرب وراحة في النوم والسفر بالذهبية رياضة عامة طويلة جليلة غالية القيمة والسفر بالوابور على النيل رياضة خاصة قصيرة قاصرة رخيصة فإختر منها لنفسك ما يحلو اه.

أما مشاهدة آثار الجيزة فمتيسرة لكل إنسان ولا تستدعي أكثر من خمسة عشر قرشاً للمقتصد الذي يرضى بركوب الحمير وسيأتي تفصيل ما إشتملت عليه فراجعه وأما مشاهدة آثار ميت رهينة وسقارة فلا يكاد مصرفها يبلغ هذه القيمة وهو متيسراً أيضاً لكل الناس بواسطة الوابورو نوفر الركائب وهي واقعة على بعد ٢٣ كيلو متر من الجيزة واسمها القديم (من نفر) وبها من الآثار تمثالان للملك رمسيس الأكبر يبلغ طول أحدهما نحو العشرة أمتار وذكر هيرودوت وديودور الصقلي أنهما نظرا بهذه المدينة جملة تماثيل عظيمة قائمة أمام معبد بتاح المضاعف الذي أسسه الملك (منا) رأس الدولة الفرعونية الأولى ولعل هذين التمثالين من تلك التماثيل وكان إستكشاف أكبرهما في سنة ١٨٢٠ مسيحية.

وفي سنة ١٨٨٦ جمع أحد الإنكليز نقوداً من أهل الخير وأخرجه من الحفرة التي كان بها وذلك في سنة ١٨٨٧ وليس بهذه القرية ما يستحق الفرجة غيرهما وفي هذه السنين الأخيرة عثرت مصلحة حفظ الآثار بهذه القرية على تمثالين جافيين للمعبود فتاح الذي كان يعبد بهذه

القرية فنقلتهما إلى المتحف المصري وهما باقيان به أما قرية سقارة فبعيدة عنها بنحو ٤٠ دقيقة والظاهر أن اسمها مشتق من لفظة (سكر) التي كانت علماً على أحد المعبودات المصرية وآثارها كثيرة وكلها مقابر بالجبل على نحو نصف ساعة منها الهرم المدرج وزعموا أنه أقدم جمع الأهرام حتى نسبوه إلى الملك (أتا) أحد ملوك العائلة الأولى وهو يتركب من ست درجات إرتفاع الأولى ٣٨ قدماً والثانية ٣٦ والثالثة ٣٤,٥ والرابعة ٣٢ والخامسة ٣١ والسادسة ٢٩,٥ فيكون مجموع ذلك ٢٠١ قدم إنكليزي وإرتفاعه الآن ١٩٧ قدماً وطول قاعدته من المشرق إلى المغرب ٣٩٦ قدماً ومن الشمال إلى الجنوب ٣٥٢ وأسطحه ليست متجهة بالتحرير إلى الأربع جهات الأصلية ثانيها هرم (أوناس) آخر ملوك العائلة الخامسة وكانت مدة حكمه ثلاثين سنة وهو الآن مهدوم وذكر المعلم والس أن هذا الهرم فتحه المعلم مسبرو سنة ١٨٨١ بعد الميلاد على نفقة الخواجه كوك ولما دخله رآه منقوباً من جهة الشمال نقباً نافذاً إلى داخله ويغلب على الظن أن أحمد النجار هو الذى فعل به ذلك سنة ٨٢٠ من الميلاد أعني قبل الآن بنحو ١٠٧٤سنة لأنه وجد به هذا الاسم مكتوباً بالمداد الأحمر وقال مسبرو لما فتحت هذا الهرم في ٢٨ فبراير سنة ١٨٨١ ودخلته ألقيت به دهليزاً منحدراً جداً مقعماً بالصخور الهائلة ورأيت اللصوص الذين سبقوني إليه أزالوا جزأ من كسوته وهدموا ما وراءها من البناء حتى إنتهوا إلى هذا الدهليز فأبقوا الصخور به على حالها ونقبوا طريقاً بجوارها بوصلهم إلى داخله اه.

وبهذا الهرم ثلاث قاعات ودهليز طويل يرى في بعض حيطانها نصوص بالقلم القديم غريبة المعاني جداً وهاك ترجمة بعضها (إذا ظهرت روح أو ناس في صورة المعبود أمطرت السماء وماجت الكواكب وسارت نجوم الجوزاء وغرتعدت عظام مردة الصباح والمساء وغير ذلك ومنها إنما هو أوناس الذي يأكل الرجال ويتغذى بهم ومنها أن أوناس يصطاد الآلهة ويفطر بكارهم ويتغذى بأواسطهم ويتعشى بصغارهم وغير ذلك من النصوص التي يتعذر الوقوف على حقيقة المراد منها وقد حاول العلامة مسبرو أن يحوم حول حي المعنى ولكن لا اخاله أصاب المرمى حيث قال يؤخذ من هذه العبارات المظلمة المعاني أن روحه ممتعة في الدار الآخرة بكل حريتها ومصرح لها أن تصطاد متى شاءت وهذا مطابق لما تراه مرسوماً على جدران المعابد من أن الملوك تذهب في حال حياتها إلى الصيد وتقنص الحيوانات ثم تذبحها وتقطعها أرباً وتطنجها ثم تأكلها اه).

ثالثها هرم (نتا) أحد ملواء العائلة السادسة وبه كثير من النقوش والنصوص وأروقته تشابه أروقة الهرم السالف ذكره وهذا الهرم يسمى عند أهل الناحية هرم السجن لأنه قريب من المكان

المعروف بسجن يوسف (راجع هذا الاسم في المقريزى) وقال مانيطون أن هذا الملك قتله أحد حراسه بعد ما حكم خمسين سنة.

رابعها هرم ماري بي الأول ويعرف باسم هرم الشيخ منصور وقد فتحه أيضاً مسبرو سنة ١٨٨٠ وهو الذي يقول فيه بعد فتحه قد تكلمت الأهرام الخرساء يعرض بذلك لمارييت باشا حيث كان يقول أن جميع الأهرام خرساء لا تحير جواباً يريد أنها خالية من جميع الكآبة وقال المعلم ولس في كتابه مرشد سياح الإنكليز (هذا الهرم يشبه هرم تتا وهرم أوناس غير أنه متخرب زيادة عن باقي الأهرام لأنه بني من أحجار المقابر القديمة والظاهر أنه فتح قديماً لأن تابوت الملك وجد مكسوراً وعظامه مطروحة حوله وقد وجد في قاع الهرم صندوق من الجرانيت ورداء صغير به كثير من الأواني المصنوعة من الرخام وجمع نقوشه دينية كهرم أوناس وتتا والظاهر أن هذا الهرم إختلسه ملك آخر يدعى بهذا الاسم لكن متأخر جداً عن زمن العائلة السادسة أما ماري بي وهو صاحبه فكان الثاني من ملوك هذه الدولة وقال مانيطون أنه حكم ثلاثاً وخمسين سنة وكان كثير الغزو والفتوحات وله أعمال كثيرة ويرى اسمه في جهة جبل الطور وهو الذي أسس معبد دندره) وفي سنة ١٨٩٢ رأيت اسمه مكتوباً في مغارة لطيفة بالجبل الغربي القريب من قرية مير بمديرية أسيوط وفي أحد مقاطع الأحجار الواقعة على مسافة ست ساعات في الجبل الشرقي من قرية الحاج قنديل ولا يمكن الوصول إليها إلا بالإبل لصعوبة الطريق وفي قرية الكاب وعلى الصخور بالجبال.

خامسها سرابيوم مدفن العجول وسيأتي الكلام على وصفه في الباب الخامس.

سادسها قبر (تي) وسيأتي الكلام على ما تشتمل عليه المقابر التامة الصنعة غير أننا لا نرى بأساً من تفسير بعض ما به من النقوش تتميماً للفائدة وهي أنه مرسوم على جدار الحائط الجنوبي من المجاز الضيق صورة الميت وهو في حياته وبجواره نساء راقصات وموسيقى تعزف ومغنون يصفقون مع الإيقاع وعلى جدار الرواق الكبير من جهة الشمال صورته وهو في الصيد والقنص قائماً في سفينة مصنوعة من أعواد نبات البردي تسبح في بطحاء ماء وهو قابض في إحدى يديه طيراً جلاباً أي يجلب غيره من الطيور ويقذف بيده الأخرى عصا عوجاء كي تدور في الهواء وتقع على الطيور المائية الجاثمة فوق غاب طويل ووسط البطحاء كثير من فرس البحر والتماسيح وبعض خدمة مجتهد في صيدها وكأن معركة وقعت بين هذين النوعين وإنجلت عن إنهزام التماسيح

وأحد خدمه يقبض على فرس البحر بواسطة كلاب (شنكل) وباقيهم يقنصون الطيور المائية وفي نفس الجدار صورة بقر يخوض نهر اليقطعه وعجول ترتع في مرج ورعاه ترعى قطيعاً من المعز وعلى الجدار الشرقي من هذا الرواق صورة الفلاحة والحصاد والتغمير والدراس وتحميل القش والتبن على الحمير وصاحب القبر حي واقف على رأس الشغالة والعمال وبيده عصا الحكم وعلى الحائط الجنوبي صورته وهو يباشر تنظيم الفرش وترتيبه بالمنزل وعلى الحائط الغربي من الدهليز صورة سفن عظمة ناشرة شراعها مقلعة ومحدرة تسيرها الرياح وسفن تسير بالمجاذيف ونحو ذلك وفي الرواق الكبير أقاربه حاملين له الصدقات التي شرط أداءها قبل وفاته منها الخبز والسوائل والنباتات وأعضاء الحيوانات التي ذبحت في الخارج وعلى جوانب القاعة الصغيرة التي على اليمين صورة الخدم حاملين على رؤسهم وأكتافهم وفي أيديهم الطيور والأزهار وأطباقاً بها أواني مملوءة بالصدقات وفي جهة أخرى صورة قتل الثيران لنجعل قرباناً وفي غيرها صورة صف من النساء الخادمات يحملن على رؤسهن قففاً أو يسقن حيوانات وهذا كله كناية عن الوفاء بما إشترطه الميت ويستفاد من نصوص الرواق أن صاحب القبر عاش زمناً طويلًا في عيشة راضية وراحة تامة وتقلب في رتب سامية وقس على ذلك باقي المقابر الآتي ذكرها وهي:

قبر (قناح حوتب) وهو سابعها. وقبر (ميرا) وهو ثامنها. وقبر (قابين) وهو تاسعها.